الآثار السلبية للفكر النصراني على المجتمعات المعاصرة
دراسة تحليلية

د. فيصل محمد حسن

الأستاذ المساعد فى قسم الدعوة والثقافة الاسلامية

بجامعة أم القرى

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الحمد لله تعالى أن هدانا للإسلام، وهدانا من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد تبارك وتعالى، فإنّ من أظهر صفات لعقيدة الإسلامية أنها عقيدة ربانية خالصة، لم تنطبع بشيء من أهواء البشر ولم تتلبس بشيء من العقائد الوثنية، وهذا دين الأنبياء جميعًا، وقد كانت العقيدة النصرانية على هذا زمناً حتى دخلها التحريف، ولعبت فيها أيادي العبث، وكان لهذا أثر عظيم في الفكر العقدي النصراني يجلي بوضوح ما فيه من تناقضات ومخالفات.

إنّ النصرانية قد اتسمت بالطابع الفكري البشري الذي طغى عليه اتباع الهوى والجمود، وغيرها من الآفات التي انطبع بها الفكر النصراني، وكان لهذه الصفات كثير من الآثار السلبية التي أدت إلى انخلاع المجتمع الغربي من النصرانية واتجاهه للعلمانية، كما تطرقت هذه الآثار إلى المجتمع الإسلامي فبدأ البعض في كثير من بلاد المسلمين بالسعي وراء تلك الأهواء وتقليدها، مصداقًا لنبوءة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:«لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»، قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى قال: «فمن؟!»[1].

وقد سعيت في هذا البحث للوقوف على بعض الآثار السلبية للفكر النصراني على

(١)أخرجه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل،(4/ 169) رقم (3456)، ومسلم، في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى،(4/ 2054) رقم (2669)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المجتمع الغربي المعاصر، وعلى المجتمع المسلم المعاصر، من خلال دراسة بعض صفات الفكر النصراني وهي: اتباع الهوى والجهل، والجمود الفكري، وهذا صفات ظاهرة لها أثرها الكبير على العقيدة النصرانية قد بين القرآن الكريم ضلالهم فيها.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في الوقوف على الأثر السلبي لهذه الآفات، الفكر النصراني وأثر ذلك على عقيدة النصارى، وكيف أثرت هذه السلبيات على سلوكيات وأفكار المجتمعات.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- كيف دخل التحريف إلى العقيدة النصرانية؟

2- كيف بيَّن القرآن الكريم ضلال الفكر النصراني؟

3- ما الآثار السلبية للضلال الفكري في العقيدة النصرانية على المجتمعات؟

أهداف البحث

تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

1- دراسة أسباب دخول التحريف والضعف إلى العقيدة النصرانية.

2- دراسة آثار هذا الانحراف الفكري على المجتمع المعاصر.

3- دراسة موقف القرآن الكريم من هذه الآفات في الفكر النصراني.

منهج البحث

وقد اعتمدتُ في هذا البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث وأهميته وأهدافه ومنهجه.

التمهيد: وفيه تعريف موجز بالنصرانية، وكيف انحرفت عن التوحيد

المبحث الأول:اتباع الهوى والجهل عند النصارى وآثارها على المجتمع المعاصر.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:اتباع الهوى والجهل في فكر النصارى.

المطلب الثاني:آثار اتباع الهوى والجهل على المجتمع المعاصر.

المبحث الثاني:الجمود الفكري عند النصارى وآثاره على المجتمع المعاصر.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:الجمود الفكري في فكر النصارى.

المطلب الثاني:آثار الجمود الفكري على المجتمع المعاصر.

الخاتمة:وفيها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد :

تعريف موجز بالنصرانية وكيف انحرفت عن التوحيد :

أصل النصرانية هي رسالة المسيح عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، فقد بعثه الله تعالى بعدما وقع الفساد في بني إسرائيل (اليهود) بعد موسى عليه السلام، وحرفوا التوراة وغيروا في أحكام الله تعالى، فبعث الله تعالى عيسى عليه السلام مجددًا لدين موسى عليه السلام مصدقًا لما جاء به موسى والأنبياء قبله في الدعوة إلى التوحيد، ومقراً لشريعته في الجملة، ومغيراً لبعض التشريعات التي جاءت فيه، وأنزل عليه الإنجيل، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: 46]. ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الصف: 6](١).

"ودعوة عيسى عليه السلام – كما ورد في بعض الآثار، وكما تضافرت عليه أقوال المؤرخين – تقوم على الزهادة والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي لأن تقوم عليه الحياة، وكان يحث على الإيمان باليوم الآخر، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا، إذ الدنيا ليست إلا طريقاً غايته الآخرة، وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية.

ولماذا كانت دعاية المسيح عليه السلام إلى الزهادة في الدنيا، والابتعاد عن أسباب النزاع

(١)ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 240).

والعكوف على الحياة الروحية؟ الجواب عن ذلك أنّ اليهود الذين جاء المسيح مبشراً بهذه الديانة بينهم كان من يغلب عليهم النزعات المادية، وكان منهم من يفهم أن الحياة الدنيا هي غاية بني الإنسان، بل إنّ التوراة التي بأيديهم اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر، ونعيمه أو جحيمه، ومن فرقهم من كان يعتقد أن عقاب الله الذي أوعد به العاصين، وثوابه الذي وعد به المتقين، إنّما زمانه في الدنيا لا في الآخرة"[1].

فكانت رسالة المسيح عليه السلام والغاية التي أنزل من أجلها الإنجيل في النقاط التالية:

١. التصديق لما بين يديه من التوراة والأمر باتباعها إلا ما جاء تغير بعض الأحكام الشرعية كإحلال بعض المحرمات.

٢. المواعظ الإيمانية.

٣. البشارة برسالة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

وكانت سنة اليهود مع دعوة المسيح عليه السلام هي سنتهم في الأنبياء قبلهم؛ إذ نابذوه العداوة، وهموا بقتله، ولم يؤمن به إلا نفر قليل من أتباعه هو الحواريون.

فرفع الله عيسى عليه السلام، وانجاه من بطش اليهود، فلما رُفع اضطهد الرومان أتباعه من بعده، وهم لا شوكة لهم، ولا قوة تحميهم، وتحمي ديانتهم وكتبهم، فكانوا يستخْفون بدينهم، أو يفرون به، وأحيانا يصمدون للمضطِهدين مستشهدين، وفي فترة الاضطهاد –

(١) محاضرات في النصرانية ،المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة 1381 هـ، ص (13).

على ما يذكرون -، دونت أناجيلهم الأربعة، رسائلهم!![1].

واستمر اضطهاد النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام ثلاثة قرون، سيموا فيها أشد العذاب، مما أثّر على توثيق الدين وحفظ مصادره، وتعرضه لكثير من التحريفات التي دخلته، وغُيّرت معالمه، حتى صار ديناً معقداً يصعب على العقول تصوره، بل صار أكثر الأديان السماوية والوضعية تعقيداً، بعد أن كان ديناً سهلاً ، وصار غموضه سمة ظاهرة فيه، ولا يمكن لأحد أن يوجد تفسيرات واضحة لكل ما جاء فيه من تعقيدات[2].

حتى تولى الإمبراطور قسطنطين حكم الرومان، ودخل في النصرانية، فأوقف الاضطهاد بمرسوم ميلان سنة 313م، وكان لتنصر أباطرة الرومان وأولهم قسطنطين أكبر الأثر في انتشار النصرانية في الدولة الرومانية المترامية الأطراف، وابتدأ النصارى منذ ذلك التاريخ، يظهرون على السطح، وبدأت ديانتهم تنتشر انتشارًا فعليًّا على حساب الوثنية التي كانت تدين بها أكثر الشعوب في ذلك الوقت، إلا أن النصرانية قد تأثرت فيها بالوثنية ودخلت فيها كثير من معتقدات تلك الشعوب، وقد أثرت الوثنية في كثير من دعاتها السنون العجاف المتطاولة التي مرت بهم، فانحرفوا عن دين المسيح عليه السلام، وجعلوه ديناً وثنياً يقوم على تأليه ثلاثة آلهة[3].

وأصل ما كان في دين المسيح من تحريفات كان على يد رجل يهودي اسمه شاول دخل

(١)ينظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص(29).

(٢)ينظر، المسيحية، المؤلف: د. أحمد شلبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، الطبعة العاشرة- 1998م، ص (22).

(٣)ينظر: دراسات في الأديان، الخلف،ص (188).

النصرانية وصار اسمه بولس، وكان في صدر حياته "من أشد أعداء المسيحية، وأبلغهم كيداً لها، وأكثرهم إمعاناً في أذى معتنقيها "[1]، ثم زعم أنه أثناء مسيره إلى دمشق وهو مقتاد بعض أتباع المسيح لاضطهادهم (حدث أنّه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلاً له: «شاول، شاول !لماذا تضطهدني؟»، فقال: «من أنت يا سيد؟» فقال الرب: «أنا يسوع الذي أنت تضطهدهصعب عليك أن ترفس مناخس فقال وهو مرتعد ومتحير: «يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟» فقال له الرب: «قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل» [2]، ثم زعم أن المسيح أرسله لدعوة بني إسرائيل (وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا، فقال له الرب في رؤيا: «يا حنانيا!». فقال: «هأنذا يا رب». فقال له الرب: «قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له المستقيم، واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول . لأنه هو ذا يصلي، وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا داخلا وواضعا يده عليه لكي يبصر». فأجاب حنانيا: «يا رب، قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل، كم من الشرور فعل بقديسيك في أورشليم. وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك» فقال له الرب: «اذهب! لأنّ هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي». فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يديه وقال: «أيها الأخ شاول، قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في

(١)محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص (72).

(٢)سفر أعمال الرسل، (9: 3-6).

الطريق الذي جئت فيه، لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس»[1].

واستطاع بولس أن يحتل المنزلة الأولى بين التلاميذ، حتى استطاع أن يحملهم على نسيان ماضيه، وأن يندغموا في شخصه حتى صار هو كل شيء، وصارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه، منسوبه إليه، وبلغ من منزلته أن كانت أكثر مصادر النصرانية إما من تأليفه، مثل رسائله إلى البلدان المختلفة، وإما من تأليف تلاميذه. فسفر أعمال الرسل الذي ألفه لوقا تلميذ بولس يتحدث عن أخبار بولس، وإنجيل لوقا كذلك يتحدث عن بولس، مع أن لوقا وبولس لم يريا عيسى عليه السلام قط[2].

وقد أحدث بولس في النصرانية أمورًا منكرة أظهرها[3]:

١. عالمية النصرانية، وعدم اختصاصها ببني إسرائيل.

٢. القول بألوهية المسيح،وألوهية الروح القدس.

٣. أن المسيح عيسى ابن مريم هو ابن الله نزل إلى الأرض تكفيراً عن خطيئة أبيهم آدم.

ونصرت الدولة الرومانية دعوة بولس، وحملت الناس عليها، حتى محى بدعوته دعوة المسيح، حتى لم يعد لرسمها أثر، فامّحت بذلك دعوة التوحيد، واندرست معالمه، وأكره الناس على اعتقاد ما أحدثه بولس، وحملوا عليه حملاً[4].

(١)سفر أعمال الرسل، (9: 10-17).

(٢)ينظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص (76)، المسيحية، أحمد شلبي، ص (113-114).

(٣)انظر، المسيحية، شلبي، ص (116).

(٤)انظر، المسيحية، شلبي، ص (118-119).

وانقسمت النصارى كحال غيرها من الأمم إلى فرق كثيرة، تختلف في معتقداتها، ومصادرها المعتمدة للدين[1]، وأشهرها في زمننا ثلاث فرق[2]:

١. الكاثوليك، وكنيستهم: الكنيسة الكاثوليكية، أو الغربية، أو اللاتينية، أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية: العامة؛ وسميت بذلك لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة، أي إلى بلاد إيطاليا، وبلجيكا، وفرنسا، وأسبانيا، والبرتغال، وإن كان لها أتباع في غيرها، مثل أمريكا، والبرازيل، والمكسيك.

٢. الأرثوذكس، وكنيستهم: الكنيسة أرثوذكسية، أو الشرقية، أو اليونانية؛ لأن أكثر أتباعها من البلاد الشرقية على وجه العموم، مثل: روسيا، واليونان، ولبنان، وإثيوبيا، ومصر.

٣. البروتستانت: وكنيستهم: الكنيسة الإنجيلية، وتنتشر في ألمانيا، وانجلترا، والدانمارك، وسويسرا، والنرويج، وأمريكا الشمالية، وغيرها.

هذا ويعتمد النصارى في دينهم ومعتقداتهم على ثلاثة مصادر أساسية، هي:

---

(١)جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»، أخرجه أبو داود، في كتاب السنة، باب شرح السنة، (4/ 197) رقم (4596)، والترمذي، في أبواب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله،(4/ 322) رقم (2640)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (203).

(٢)انظر، المسيحية، أحمد شلبي، ص (238-239).

أولاً: "الكتاب المقدس" ويشمل ما يلي:

أ – العهد القديم[1]: وهو التوراة والكتب الملحقة بها، وهي خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاوين، وسفر العدد، وسفر التثنية، ويلحق بها أربعة وثلاثون سفراً حسب النسخة العبرانية، وهي المعتمدة عند اليهود و النصارى البروتستانت، وأمّا النصارى الكاثوليك والأرثوذكس فيعتمدون النسخة اليونانية، وهي تزيد عن العبرانية بسبعة أسفار.

ب –العهد الجديد: (وهو مجموعة من الأناجيل والرسائل الملحقة بها وتتضمن حسب المدون فيها: دعوة المسيح ، وتاريخه، وشيئاً من دعوة أوائل النصارى، وتاريخهم، ورسائل دينية أخرى)[2]. ويتكون من سبعة وعشرين سفراً يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام[3]:

١. الأسفار التاريخية، وهي خمسة:

- إنجيل متى.
- إنجيل مرقص.
- إنجيل لوقا.
- إنجيل يوحنا.
- سفر أعمال الرسل.

٢. الأسفار التعلمية: وهي رسائل التلاميذ "الرسل"، وعددها واحد وعشرون رسالة

(١)انظر، دراسات في الأديان، سعود الخلف، ص (74-76)، ص (194-195).

(٢)دراسات في الأديان، سعود الخلف، ص (194-195).

(٣)انظر، المسيحية، شلبي، ص(205).

تنسب إلى تلاميذ عيسى، والذين يسمون بالرسل.

٣. رؤيا يوحنا.

ثانياً: المجامع النصرانية [١]: وهي هيئات شورية لبحث الأمور المتعلقة بالدين وأحوال الكنائس، وهي تنقسم إلى قسمين:

أ - مجامع محلية: تختص بالشؤون المحلية للكنيسة التي تنعقد فيها.

ب -مجامع مسكونية أو عالمية: للبحث في شرائع الديانة النصرانية وعقائدها.

ثالثاً: البابوية: وهو مصدر عند الكاثوليك خاصة، واستغنوا به عن المجامع النصرانية لما قالوا بعصمة البابا[٢].

(١)انظر،دراسات في الأديان، سعود الخلف،ص (249).

(٢)انظر، تقديس الأشخاص عند النصارى، وآثاره، عرض ونقد، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة- جامعة أم القرى، الباحث: موسى عقيلي الشيخي، عام 1429ه، منشور على الشبكة ولم يطبع،ص (29). و كتاب المسيحية، أحمد شلبي، ص (209).

المبحث الأول

اتباع الهوى والجهل عند النصارى وآثارها على المجتمع المعاصر

المطلب الأول: اتباع الهوى والجهل في فكر النصارى.

الهوى هو: ميل النفس إلى اعتقاد شيء بلا دليل، قال الله تعالى﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [سورة ص:26]) أي لا تتبع ما يميل إليه طبعك، ويقتضيه رأيك من غير أن يسند إلى دليل شرعي[1].

وسمي بذلك (لأنّه يهوي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية)[2].

وقد وصف القرآن الكريم لنصارى باتباع الهوى وذمهم بذلك، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [سورة البقرة:120]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكذلك النصارى لم يؤتوا من جهة ما أقروا به من الإيمان بأنبياء بني إسرائيل والمسيح، وإنما أتوا من جهة كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم،

(١) انظر معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)،المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي،الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الأولى، 1412هـ، (ص 562).

(٢) المفردات في غريب القرآن، المؤلف: الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)،المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت،الطبعة: الأولى – 1412 ه، ص(849).

وأما ما وقعوا فيه من التثليث والاتحاد الذي كفروا فيه بالتوحيد والرسالة، فهو من جهة عدم اتباعهم لنصوص التوراة والإنجيل المحكمة التي تأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وتبين عبودية المسيح وأنّه عبد لله كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة المائدة:117]. فلما تركوا اتباع هذه النصوص إيماناً وعملاً، وعندهم رغبة في العبادة والتأله، ابتدعوا الرهبانية وغلوا في المسيح، هوىً من عند أنفسهم، وتمسكوا بمتشابه من الكلمات؛ لظن ظنوه فيها، وهوى اتبعوه خرج بهم عن الحق فهم ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [سورة النجم:23])[1].

أمّا الجهل فهو نقيض العلم، وهو إما بسيط وإما مركب، يقول زكريا الأنصاري: "الجهل انتفاء العلم بالمقصود بأن لم يدرك أصلاً، وهو الجهل البسيط، أو أدرك على خلاف هيئته في الواقع، وهو الجهل المركب؛ لأنه تركب من جهلين: جهل المدرِكِ بما في الواقع، وجهله بأنه جاهل به"[2].

والجهل يقود صاحبه إلى إنكار الحق واعتقاد الباطل يقول ابن تيمية رحمه الله: «فإن من لم

(١) مجموع الفتاوى. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى) = المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، (20/108-120).

(٢)الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المؤلف: زكريا الأنصاري، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر، المعاصر – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ.

يعلم الحق، فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه، فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق، أو غير عالم فهو جاهل أيضاً»[1].

وقد وصف القرآن الكريم النصارى بالجهل، وذمهم على ذلك، كما قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة: 6-7]. فالضالون هم النصارى؛ لأنهم "تعبدوا الله عن جهل فضلّوا"[2]، وهذا الضلال "أصله الجهل. ولا يوجد قط من هو نصراني باطناً وظاهراً، إلا وهو ضال جاهل بمعبوده وبأصل دينه، لا يعرف من يعبد ولا بماذا يعبد، مع اجتهاد من يجتهد منهم في العبادة والزهد، ومكارم الأخلاق"[3].

فالغالب عليهم الجهل بالدين وأنهم يتكلمون بكلام لا يعقلون معناه، ليس منقولاً عن الأنبياء حتى يسلم لقائله. بل هم ابتدعوه، وإذا سألتهم عن معناه قالوا: هذا لا يعرف بالعقول. فيبتدعون كلاماً يعرفون بأنهم لا يعقلونه. وهو كلام متناقض ينقض أوله آخره. ولهذا لا تجدهم يتفقون على قول واحد في معبودهم حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى افترقوا على أحد عشر قولاً.

وقال الربعي: "النصارى أشد الناس اختلافاً في مذاهبهم وأقلهم تحصيلاً لها. لا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، (1/ 256).

(٢)أحكام من القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، (ت: 1421هـ)، الناشر: مدار الوطن للنشر- الرياض، الطبعة الأولى- 1428هـ، (1/ 46).

(٣)الجواب الصحيح، لابن تيمية (4/ 385).

يمكن أن يُعرف لهم مذهب. ولو سألت قساً من أقسائهم عن مذهبهم في المسيح، وسألت أباه وأمه؛ لاختلفوا عليك الثلاثة، ولقال كل واحد منهم قولاً لا يشبه قول الآخر"[1].

* نماذج من اتباع الهوى والجهل في عقيدة النصارى:

ومن أمثلة اتباع النصارى للهوى تركهم المحكم واتباعهم المتشابه: كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران:7].

وقد نزلت هذه الآية في نحو ثمانين آية في صدر سورة آل عمران في وفد نجران من النصارى[2]، قال ابن كثير: "﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ ،أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾، أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأمّا المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنّه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال : ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ ، أي: الإضلال لأتباعهم، إيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [سورة الزخرف: 59]، وبقوله:

(١)الجواب الصحيح،لابن تيمية، (2/ 166).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي4/ 4)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق د.سفر الحوالي، مركز البيان للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى1431هـ (1/ 222).

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران:59]، وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله، وعبد، ورسول من رسل الله.

وقوله: ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾، أي: تحريفه على ما يريدون)[1].

ومن أظهر الأمثلة على اتباعهم المتشابه ونبذهم المحكم: اختلافهم في المسيح ابن مريم هل هو الله؟ أم هو ابن الله؟ أم أنه ثالث ثالثة، مع ما في كتبهم من النصوص المحكمة المخبرة بأنّه بشر مرسل من عند الله، فأخذوا بآيات مجملة مشتبهة ذكر فيها المسيح صلته بالله تعالى فأوّلوا هذه الآيات، وحمّلوها ما لم تحتمله من معان، حيث جعلوها دالّة على ألوهية المسيح، وأنه ابن الله تبارك وتعالى.

قال ابن إسحاق: "فهم يحتجون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى.

ويحتجون في قولهم إنه «ولد الله » بأنهم يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

ويحتجون في قولهم إنه: «ثالث ثلاثة» بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحدا ما قال إلا فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقت، ولكنه هو وعيسى

(١)تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ (2/ 6-11).

ومريم. ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن"[1].

فمما جاء في الكتاب المقدس من النصوص المحكمة التي تثبت الحق الذي لاريب فيه في وحدانية الله، وأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله ليس إلهًا ولا ابن إله:

١. "اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد"[2].

٢. "فيعرف جميع الأمم أنك أنت الإله وليس آخر سواك" [3].

٣. "أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله هذا لم يعمله إبراهيم"[4]

٤. "21) ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني، يا سيد، يا ابن داود ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها، لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[5].

ومن الأدلة المتشابهة التي اعتمد عليها النصارى في إثبات أنّ المسيح ابن الله بزعمهم:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م، (1/ 575)، ونقله عنه ابن جرير أيضاً في تفسيره (5/ 173).

(٢) سفر التثنية (6/ 4)؛ إنجيل مرقص(12/ 29).

(٣)سفر يهوديت (9/ 19).

(٤)إنجيل يوحنا (8/ 40).

(٥)إنجيل متى (15/ 21-24).

١. "ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنّه صرخ هكذا وأسلم الروح، قال: حقا كان هذا الإنسان ابن الله" [١]

٢. "نزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ»"[٢]

٣. "من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله"[٣]

فظاهر هذه الآيات من الإنجيل أنها تثبت بنوة المسيح عليه السلام لله تبارك وتعالى، إلا أنها نصوص متشابهة يجب ردها إلى ما اتضح معناه من الآيات المحكمة، فيجب النظر في الكتاب المقدس للتثبت، هل هذا المعنى مطرد بأن يكون كلما ذكر الابن كان المقصود به البنوة الحقيقة؟ أم أنّ هناك معاني أخرى للبنوة تختلف حسب سياقها؟

فإنّ بنوة المسيح لله بنوة حقيقية لا يقول به حتى النصارى أنفسهم فإنّ هذا من الممتنعات التي يأباها العقل (لأنّه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي؛ لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العالم من تولد نطفة الأبوين وهذا محال)[٤]. وقد وردت لفظة البنوة في الكتاب المقدس في عدة سياقات بمعاني متنوعة يفرضها السياق منها:

(١)إنجيل مرقص (15: 39).

(٢)إنجيل لوقا (3/ 22).

(٣)رسالة يوحنا الأولى (5/ 5).

(٤)إظهار الحق، المؤلف: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (ت: 1308هـ) المحقق: عبد الرحمن فهمي الزواوي، الناشر: دار الغد الجديد، الطبعة الأولى: 1436هـ، (1/ 391).

- إطلاق لفظ الأبناء على المؤمنين بالمسيح [1] "كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً"[2].
- وعلى المطيعين لأمر الله (كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله)[3].
- وعلى الصالحين "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية؛ لأن زرعه يثبت فيه،ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله"[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (في الإنجيل الذي بأيدي النصارى كلمات مجملة إن صح أن المسيح قالها فهذا معناها كقوله: أنا وأبي واحد، من رآني فقد رأى أبي. ونحو ذلك وبها ضلت النصارى حيث اتبعوا المتشابه كما ذكر الله عنهم في القرآن لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناظروه في المسيح)[5].وهذه النصوص المحكمة في بشرية المسيح ووحدانية الله هي الحق الذي قرره القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾

(١)انظر، إظهار الحق، ص (394).

(٢)رسالة يوحنا الأولى، (5/ 1).

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، (8/ 14).

(٤)الرسالة الأولى ليوحنا،(3/ 9).

(٥)مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، المؤلف : تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، علق عليه : السيد محمد رشيد رضا، الناشر : لجنة التراث العربي، (1/ 169).

[سورة المائدة:72]. وقال تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة المائدة:117].

ومن أمثلة الجهل عند النصارى جهلهم بحق الله تبارك وتعالى وصفاته فسبوا أفعاله تعالى إلى غيره، فعندهم مثلاً أن المسيح عليه السلام يحيي الموتى يوم القيامة و يحاسب الناس، كما في إنجيل يوحنا: "لأنّه كما أنّ الأب يقيم الأموات و يحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء، (22) لأنّ الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن، (23) لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الأب من لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله، (24) الحق الحق أقول لكم: إنّ من يسمع كلامي و يؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية و لا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة، (25) الحق الحق أقول لكم: إنّه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله و السامعون يحيون (26) لأنّه كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته (27) وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنّه ابن الإنسان"(١).

كما جهلوا منزلة الأنبياء عليهم السلام وحقوقهم وصفاتهم؛ فجعلوا رسل المسيح والحواريين فوق منزلة الأنبياء (٢)؛ وألبسوهم ثوب العصمة، أمّا أنبياء الله، فهم معصومون فقط في تبليغ الوحي، وقد فضّل بولس نفسه على موسى عليه السلام فقال: "فإنّا نتصرف

(١)إنجيل يوحنا (5: 21-27).

(٢)انظر، إظهار الحق، للهندي، (3/ 836).

برباطة جأش عظيمة، لا كموسى الذي يضع قناعاً على وجهه لئلا ينظر بنو إسرائيل نهاية ما يزول"[1].

كما وصفوا الأنبياء بصفات لا تليق بمنزلتهم فرموهم بالزنا بالمحارم فضلاً عن الأجنبيات، ويصدر عنهم عبادة الأوثان، وبناء المعابد لها[2].

المطلب الثاني آثار اتباع الهوى والجهل على المجتمع المعاصر

*** من آثار اتباع الهوى والجهل على المجتمع الغربي المعاصر:**

1- اتجاه الغرب إلى العلمانية؛ نتيجة لنفورهم من الدين الذي يدعي رجاله أنه دين الله تعالى رغم ما فيه من تناقضات وانحرافات[3].

2- ظهور مناهج جديدة لإعادة قراءة نصوص الكتاب المقدس للخروج من معضلة تعارض العلم مع النص الديني المقدس، ومن ذلك[4]:

أ- نظرية تطور الدين وأنسنته.

ب- تعميم النسبية على الأديان والعقائد وإنكار الحقائق المطلقة والتشكيك في المسلمات.

ج- إنكار الغيبيات بدعوى أنها خرافات ليس عليها دليل علمي.

---

(١) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، (3: 12- 13).

(٢)ينظر: إظهار الحق، للهندي، (4/ 1214).

(٣)ينظر، مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب ص (446)، بتصرف.

(٤)انظر، إعادة قراءة النص الشرعي واستهدافه في الفكر العربي المعاصر، المؤلف: أ.د.سليمان بن صالح الغصن، الناشر: دار كنوز إشبيليا،الطبعة الأولى 1437هـ، ص (44-45)

د- تقديس العقل ونفي كل ما لا يدركه العقل أو لا يستسيغه من قضايا الدين[1].

3- عبادة الله تعالى بالبدع؛ فالنصارى يتمسكون ببعض العبادات التي يتقربون بها إلى الله بزعمهم، مع أن هذه العبادات ليست من شرعهم في شيء، يقول ابن تيمية: "بل هم عامة ما هم عليه من الدين: عقائده وشرائعه: كالأمانة، والصلاة إلى المشرق، واتخاذ الصور، والتماثيل في الكنائس، واتخاذها وسائط، والاستشفاع بأصحابها، وجعل الأعياد بأسمائهم، وبناء الكنائس على أسمائهم، واستحلال الخنزير، وترك الختان، والرهبانية، وجعل الصيام في الربيع، وجعله خمسين يوماً، والصلوات والقرابين، والناموس، لم ينقله الحواريون عن المسيح، ولا هو موجود في التوراة، ولا في الإنجيل، وإنما هم مستمسكون بقليل مما جاءت به الأنبياء"[2].

4- ضعف الوازع الديني، والجرأة على محارم الله، وذلك أن "أصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل، وعدم العلم بكونها تضرهم ضرراً راجحاً، أو ظن أنها تنفعهم نفعاً راجحاً"[3].

*** من آثار اتباع الهوى والجهل على المجتمع المسلم المعاصر:**

تأثر المجتمع المسلم بما وقع في النصرانية نتيجة اتباع الهوى والجهل بسبب الانفتاح على

(١)المصدر السابق، ص (57)

(٢)الجواب الصحيح، لابن تيمية، (2/ 308).

(٣) الحسنة والسيئة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص2ﻫ).

ثقافات الغرب وبسبب الغزو الفكري والعسكري من الغرب لبلاد المسلمين، ومن ذلك:

1- إثارة الخلافات الفكرية من آراء الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، ونشرها بين عامة المسلمين، مما ساهم في تمزيق وحدة المسلمين(١).

2- إثارة الشبهات حول الإسلام لتشكيك المسلمين في دينهم.

3- نظر بعض المسلمين إلى الإسلام نفس النظرة التي نظرها المجتمع الغربي للنصرانية، وهي أنه مناقض للعلم يدعو إلى التخلف والرجعية ، ومن ذلك قول محمد أركون: "وحدها المسيحية الغربية تجرأت على إحداث القطيعة مع لاهوت القرون الوسطى الذي كان يكفر الآخرين، ويحتقر إيمانهم، وقد تم ذلك بفضل انتصار الحداثة العلمية والفلسفية في بلدان أوروبا الغربية المتقدمة. ثم بفضل الضغط الذي مارسته هذه الحداثة على رجال الدين والمتدينين والكنيسة ككل.

نحن بحاجة إلى ثورة لاهوتية أو فقهية في الإسلام توازي ثورة المجتمع الفاتيكاني الثاني في المسيحية الأوروبية"(٢).

كما عمدوا إلى الإسقاط الفكري لبعض المصطلحات الغربية على المجتمعات الإسلامية، مثل (الأصولية)، وأصلها: "حركة بروتستانتية ظهرت في القرن العشرين الميلادي تؤكد على

(١)انظر، الطائفة الكاثوليكية وأثرها على العالم الإسلامي، المؤلف: د. محمد بن علي الزيلعي، الناشر: مجلة البيان، الطبعة الأولى: 1432هـ، ص (339-341)، و الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، المؤلف: د.مصطفى السباعي، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، ص (31).

(٢)المصدر السابق، ص 46، نقلاً عن كتاب الهوامل والشوامل لأركون ص (85).

التفسير الحرفي للكتاب المقدس "[1]، ثم تطور هذا المفهوم ليشمل الجماعات الدينية التي تتمسك بالنص الديني،وأهمها: الأصولية اليهودية، والأصولية النصرانية، والأصولية الإسلامية[2].

والأصولية من حيث هي تمسك بالنصوص أمر محمود بادي الرأي، إلا أن الإشكال في نقل هذا المصطلح إلى المجتمع الإسلامي هو أنّ هذا المصطلح يحمل دلالات التنقص في المجتمعات الغربية، وذلك أنّه يرمز إلى التطرف والهمجية، فإذا وصِف به المسلمون وجب أنّ نفهمه وفق ما هو شائع في بيئاتهم، حيث يريدون به المضامين الغربية لهذا المصطلح، فيخدعون به السذج من المسلمين من حيث هو في ظاهره عند المسلمين يحمل دلالات حسنة، ويريدون به سوى ذلك[3].

4- تطرقت إلى كثير من بلاد المسلمين كثير من البدع التي أحدثها النصارى، وما أحدثوه من العبادات بسبب جهلهم.

(١)مؤسسة البحث والتطوير (راند)، وموقفها من الدعوة الإسلامية، المؤلف: د.عبد الله بن محمد المديفر،الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى1436هـ، ص(153-154).

(٢) انظر، المصدر نفسه ص (154)

(٣)انظر المصدر السابق ص (157)

المبحث الثاني

الجمود الفكري عند النصارى وآثاره على المجتمع المعاصر

المطلب الأول: الجمود الفكري في فكر النصارى

الجمود الفكري مضاد للاجتهاد وإعمال الفكر، فهو يعني تعطيل ملكة الفكر والتقليد الأعمى دون بصيرة وتعقل[1]، وقد ذم الله تعالى أهل الجمود الذين يتبعون من سبقهم دونما تفكر وتعقل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [سورة البقرة:170]، وهذه حال اليهود الذين اتبعوا أحبارهم ورهبانهم فيما هم عليه من الباطل

ومن أمثلة ذلك في النصرانية اتباع النصارى لمن حرفوا دينهم وبدلوه وعلى رأسهم بولس، كما اتبعوا الأمم الوثنية في وثنيتهم وعقائدهم البشرية؛ فعقيدة التثليث، والتجسد والاتحاد كانت منتشرة في الأديان الوثنية القديمة، عند المصريين واليونان والهنود والرومان[2].

يقول (ول ديورانت) مقررًا تأثر المسيحية بالديانات الوثنية : "إنّ المسيحية لم تقضِ على الوثنية، بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قروناً عدة صاحبة السلطان على

---

(١)ينظر: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، للحدري، ص (400).

(٢)ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (4/ 197-198).

(٣)ينظر، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى 2006، ص (385- 400)، وأسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، تأليف مجموعة من العلماء بإشراف البروفسور جون هك، أستاذ اللاهوت في جامعة برمنجهام، تعريب: د.نبيل صبحي، الناشر: دار القلم- الكويت ، الطبعة الأولى 1405هـ، ص(163-168)..

السياسة أداة الآداب، والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف. فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس، ويوم الحساب، وأبدية الثواب والعقاب، وخلود الإنسان في هذا أو ذاك، ومنها جاءت عبادة أم الطفل، والاتصال الصوفي.... وقصارى القول إنّ المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم"[1].

كما نعى الله عليهم تقلديهم لأحبارهم ورهبانهم في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم، وفي عبادة المسيح عليه السلام؛ كما قال تعالى: قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة:31].

وفي الحديث عن عدي بن حاتم، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: { ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ } [التوبة: 31]، قال: «أمّا إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»[2].

(١) قصة الحضارة، المؤلف: وِل ديورَانت، (11/ 275)

(٢)أخرجه الترمذي، في أبواب التفسير، باب: ومن سورة التوبة،(5/ 278) رقم (3095).

المطلب الثاني آثار الجمود الفكري على المجتمع المعاصر

*** آثار الجمود الفكري على المجتمع الغربي المعاصر.**

لا شك أنّ للجمود الفكري في العقيدة النصرانية والتقليد الأعمى وإغلاق باب العقل والتفكر كان له أثره السلبي على المجتمع النصراني، فقد حرمت الكنيسة على العامة الخوض في قضايا الاعتقاد؛ بل عليهم أن يسلموا ويذعنوا دون نظر عقلي لهذه الموروثات على ما فيها من علّات، حتى أضفوا عليها صفة القداسة، فلا يحل مناقشتها أو الاعتراض عليها[1].

وقد فرضت الكنيسة على أتباعها لتحقيق الجمود الفكري فيها عدة أمور هي:

1 – المنع من قراءة الكتاب المقدس إلا بإذن من الكنيسة.

2 – عدم المناقشة في العقائد؛ أو محاولة البحث عن تفسيرها.

3 – احتجزت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم، وقيدت فهم هذه العقائد بفهمها[2].

وقد أدى هذا الجمود إلى عدة آثار أهمها:

1 – كان هذا الجمود من الأسباب الرئيسة في الثورة العلمانية على المسيحية في أوربا؛ باعتبارها ديناً يحارب العقل ويدعو إلى الجمود[3].

---

(١)ينظر: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، الإمام محمد عبده –رحمه الله–، الناشر– مكتبة الفنون والآداب– القاهرة، الطبعة الأولى 1436هـ، ص (28).

(٢)ينظر، تقديس الأشخاص عند النصارى، ص (354)، و أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، اد. أحمد علي عجيبة، الناشر: دار الآفاق العربية، مصر– القاهرة، الطبعة الأولى-2004، ص (38).

(٣)ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص(501).

2- إدخال الفلسفة في الدين مما زاده تعقيدًا، وأصبحت كبرى قضايا الدين ألغازاً لا يمكن للعقل السليم قبولها، مما أدى إلى جهل عامة النصارى بالقضية الأم في الدين وصلبه وأساسه وهي قضية الربوبية؛ وظلموا على هذا الجمود والتقليد الأعمى، رغم وضوح التحريفات والمناقضات في عقائدهم(١).

3- انسياقُ المسيحيين البروتستانت – نتيجة للتفسير الحرفي للكتاب المقدس من - وراء اليهود من خلال اهتمام الساسة الأمريكيين بتحقيق نبوءات العهد القديم في قيام دولة إسرائيل بالأرض المقدسة، ودعم دولة إسرائيل دعماً كبيراً، وعلى رأسهم كثير من الرؤساء الأمريكيين(٢).

*** آثار الجمود الفكري على المجتمع المسلم المعاصر.**

1- سحب التهم الموجهة إلى النصرانية بالجمود ومحاربة العقل على الإسلام، واتهام الإسلام بعدم صلاحية مصادره للنهضة الحضارية، وأصل ذلك نظرة العلمانيين للنصرانية فتصوروا أن هذا الحكم يشمل جميع الأديان، ونتيجة لهذا حاولوا استنساخ التجربة العلمانية الغربية وتطبيقه على البلاد الإسلامية(٣).

2- كما حاول المستشرقون والعلمانيون ادعاء أن الإسلام قد اكتسب تعاليمه وعقائده

(١)ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص (501).

(٢)ينظر للتفصيل والاطلاع على ما يدل على صهيونيتهم كتاب، المسيحية الصهيونية دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، إعداد الطالب: فاخر شريتح، الجامعة الإسلامية بغزة، عام 1426، منشورة على الشبكة ولم تطبع، ص (118-128).

(٣)ينظر: مؤسسة البحث والتطوير (راند) وموقفها من الدعوة الإسلامية، عبد الله المديفر، ص (181، 182).

وثقافته من الأمم السابقة عليه، على أثر ما رأوا في العقائد الوثنية النصرانية.

فادعوا أنّ الإسلام في جوهره يقتفي آثار المسيحية أو هو الصيغة التي دخلت بها المسيحية إلى بلاد العرب كلها، وأن القانون الإسلام منقول عن القانون الروماني، وهذه الدعاوى مبنية على النظرة الأوربية للأديان بناءً على نظرة قاصرة من خلال النصرانية فقط[1].

خاتمة

(١)ينظر: الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، د.مصطفى السباعي، ص (63-65).

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

أولاً: أهم نتائج البحث

1- كان أكثر العوامل في التغير في العقيدة النصرانية دخول بولس النصرانية، الذي أحدث فيها عدة أمور منكرة أهمها تأليه المسيح، والقول بأن ابن الله.

2- من أثر مظاهر الانحطاط في الفكر النصراني، التي ذمها القرآن اتباع الهوى والجهل والجمود الفكري.

3- كان لهذه المظاهر آثار سلبية كبير على الفكر في المجتمع الغربي والإسلامي على حد سواء.

4- انقسمت النصارى إلى عدة فرق متناحرة مختلفة فيما بينها أهمها وأشهر: الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت.

5- مصادر النصارى الأساسية التي يعتمدون عليها في معتقداتهم: الكتاب المقدس، والمجامع النصرانية، والبابوية.

6- من أظهر الأمثلة على اتباع الهوى في دين النصارى اتباعهم المتشابه، وتركهم المحكم من آيات الإنجيل، ويظهر ذلك في قولهم ببنوة المسيح اتباعًا للنقول المتشابهة المحتملة المعنى في الكتاب المقدس، وتركهم النصوص المحكمة التي تنبئ بحقية المسيح وأنه ما هو إلا عبد لله ورسوله.

7- من أمثلة الجهل في العقيدة النصرانية جهلهم بصفات الله تعالى وكماله، وجهلهم

بمنزلة الأنبياء وعصمتهم.

8- كان لاتباع الهوى والجهل آثارًا سلبية على المجتمع الغربي، ومن ذلك أنها أدت إلى اتجاه الغرب إلى العلمانية، وظهور مناهج جديدة لإعادة قراءة نصوص الكتاب المقدس للخروج من معضلة تعارض العلم مع النص الديني المقدس، عبادة الله تعالى بالبدع.

9- كما أن من آثار ذلك على المجتمع المسلم، إثارة الخلافات الفكرية من آراء الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، ونشرها بين عامة المسلمين، نظر بعض المسلمين إلى الإسلام نفس النظرة التي نظرها المجتمع الغربي للنصرانية، كما ظهرت في كثير بلاد المسلمين البدع المضاهية لبدع النصارى.

10- كما اتسم الفكر النصراني بالجمود والتقليد الأعمى للأمم السابقة، مما له الأثر السلبي الكبير على المجتمع الغربي، وهو من أسباب الثورة العلمانية على الكنيسة في العصر الحديث.

11- كما كان لهذا الجمود الفكري أثر على المجتمع المسلم المعاصر، ومن أهم هذه الآثار إلصاق تهمة الجمود الفكري بالإسلام دون بينة وبرهان إلا السعي إلى تعميم الأحكام التي أخذوها على النصرانية على غيرها من الأديان.

ثانيًا: التوصيات:

1- أوصي الباحثين بالاهتمام بالقضايا الفكرية الإسلامية التي تنبئ عن سلامة الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية من هذه النزعات البشرية التي طغت على النصرانية.

2- كما أوصي بالاهتمام بدراسة الآثار السلبية للأديان المحرفة والوضعية ومدى أثرها في المجتمعات المسلمة.